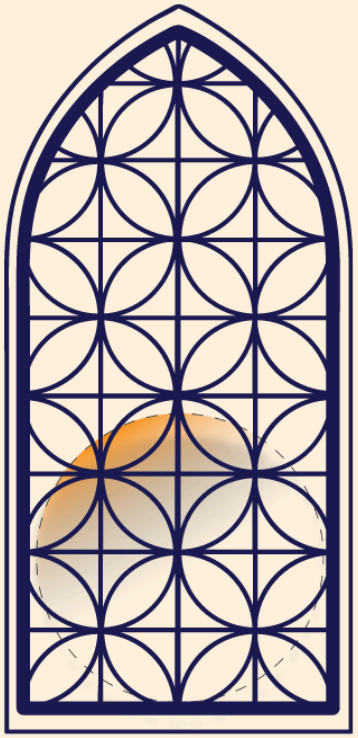

لقاءات التفسير الرمضانية

أ . أناهيد بنت عيد السميري

١٤٤٣ من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثالث

الاثنين 3 رمضان 1443

سورة البقرة الآيات (٢٧٥ - ٢٨١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي زيّن قلوب أوليائه بأنوار الإيمان، وسقى هذه القلوب بذوق حلاوة القرآن، نسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا ممن زادهم القرآن إيمانًا فذاقوا حلاوة القرآن وحلاوة الإيمان، اللهم آمين.

نبدأ اليوم في دراسة آيات مختارات من الجزء الثالث، ولا زلنا في سورة البقرة؛ سورة الإسلام والاستسلام لله -عزّ وجلّ- الإسلام والاستسلام الذي نتيجته السير على الصراط المستقيم وفيه صلاح الدنيا والآخرة، نبدأ بالآية: (275) من سورة البقرة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281))

هذه الآيات المباركات أتت على موضوع من المواضيع الذي هو غاية في الأهمية في كل زمان وفي كل مكان؛ إنه المال الذي مول الله به العباد وجعله عصب الحياة، والمعاملة بهذا المال، المال اختبار عظيم، والسامع لهذه الآيات والتالي لها، لا بد أن يكون متبينًا لموضع هذه الآيات من الآيات السابقات، لا بد أن يلاحظ أن هذه الآيات أتت بعد آيات طويلة في الكلام عن الصدقة، سياق طويل حضّ الله -عزّ وجلّ- فيه على الصدقة، وضرب أمثلة عليها، وضرب أمثلة على

شروط الصدقة، ثم أتى الكلام عن الربا. فلا بد أن نعلم أن بين الصدقة وبين الربا مناسبة، وهي علاقة تضاد؛ ولذلك سنجد هنا آيات تربط بين الصدقة والربا كما سيأتينا (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) علاقة التضاد هذه ظاهرة في كون أن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب امتثال أمر الله والامتثال له، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال معصية لله ومخالفة لأمره، فالله أمر بالصدقة وهي تنقص المال، ونهى عن الربا وهو يزيد المال. لكن في الحقيقة أن هذا النقص نقصًا ظاهرًا، وأن هذه الزيادة زيادة ظاهرة، والله الذي يعلم بواطن الأمور أخبرنا أنه يمحق الربا ويربي الصدقات، وهذا سيتبيّن خلال مناقشة الآيات. لكن هنا تبيّن أن هذه السورة -سورة البقرة- سورة الاستسلام لأمر الله التي ابتدأت بالثناء على المتقين (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[1] وتكرر الخبر عنهم في هذه السورة، هنا تبين بعد سياق طويل في الكلام عن الصدقة ما هو ضدها. مجمل هذه الآيات التي سنناقشها تبين حرمة الربا، وتبين حرمة الربا بهذا التشبيه:

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا

---

[1] () البقرة: 3.

سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

بيّن الله حرمة الربا ببيان حال آكله يوم القيامة. وقد ذكر عن ابن عباس في هذه الآية: «يبعث يوم القيامة مجنونًا يخنق» معنى هذا أن جريمة الربا من الكبائر، الربا من الموبقات وهو أكبر الكبائر لأنه ثبتت له هذه الحال السيئة، وقد ثبت في الحديث أنه من أكبر الكبائر؛ لأن فيه ظلمًا للفقير وأخذًا للمال بغير حق وزيادة في الباطل، وهذا يدل على طمع شديد في الدنيا؛ لذلك سنجد أن هؤلاء كأنهم بلا عقول، كما سنرى في التشبيه:

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) قيل عنهم إنهم يأكلون لأن الأموال غالبًا تكون على المأكل والمشرب والملبس فعبّر عن أهم الأشياء التي يصرف فيها المال وهو الأكل؛ لذلك مثله قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا)[2] ومثله (لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)[3] المقصود أن الأكل تعبير عن أخذ المال، هؤلاء الذين يأكلون الربا كيف وصفهم رب العالمين بوصف شنيع يدل على أن هذه جريمة عظيمة؟ (لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) أين لا يقومون؟ متى تكون هذه الحال؟ ذكر أهل العلم موطنين يمكن أن يكون فيها قيامهم، قالوا:

---

[2] () النساء: 10.

[3] () البقرة: 188.

- «يمكن أن يكون هذا يوم القيامة»
- «ويمكن أن يكون هذا حالهم في الدنيا»

إذا كان يوم القيامة فهم يقومون من قبورهم للنشر بهذه الحالة (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) يصرعه الشيطان بالجنون، وهذا أمر معروف، فقدان العقل يمكن أن يولد الإنسان بلا عقل ويمكن أن يصيبه مسّ من الشيطان فيصرعه ويجعله مجنونًا، هؤلاء يقومون من قبروهم حيارى، سكارى، مضطربين يتوقعون عظيم النكال، وهذا حالهم جزاء مناسبًا لهم لأنهم هم قلبوا المسألة مثلما انقلبت عقولهم وقالوا: (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) وهذا لا يكون إلا عنادًا وكبرًا على دين الله، جازاهم الله من جنس حالهم، ما دامت عقولهم انقلبت وجعلت البيع مثل الربا، فالله -عزّ وجلّ- صيرهم كالمجانين يوم القيامة، فصارت أحوالهم أحوال المجانين، هذا لو قلنا إنهم يقومون من قبورهم.

وإذا قلنا إنهم يقومون بمعنى أن هذا الأمر يحصل لهم في دنياهم، فيقال: إن هؤلاء من شدة تعلق قلوبهم بالأموال، لا همّ لها ولا غاية لها إلا جمع المال وتكثيره، وأن يملكون أرقامًا هائلة، لا رحمة بالخلق ولا صلة ولا إحسانًا ولا شعورًا كل هذا حبًا للدنيا ورغبة فيها، فلما كان هذا حالهم تجد حركاتهم كحركات فاقدي العقل وقت طلبهم المكاسب الربوية، تجد أنه لا عقل لهم ولا رأي لهم إلا هذا المال، ويصيرون كما قال

الشيخ السعدي: "وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي عنهم".

ما عنده أدب، قد يكون في موطن ائتمان، ويمكن أن يغدر بصاحبه وجماعته، ويمكن أن يفعل ما يفعل من أجل المال، فهو بلا عقل، يشبه المجانين، وهذا كله من افترائهم على رب العالمين وقولهم إن البيع مثل الربا، تصور شناعة هذا القول! ما قالوا الربا مثل البيع على أساس أن البيع هو الأساس وشبهوا البيع به، لكن من شدة العناد قالوا: البيع مثل الربا! كأنهم يقولون: (ما الفرق بين البيع والربا؟ البيع مثل الربا! فلا تحرموا علينا ما يقوم به الاقتصاد!) وهنا نجد هذه العلة الدائمة أن الاقتصاد لا يقوم إلا بهذا، وهذا لأن الناس طامعين في دنياهم، ليس لهم رغبة في رضا ربهم فيجدوا أن الدنيا لا تقوم إلا على الربا -والعياذ بالله- هذا من سوء العقول. عندما تقول: (لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) تقول: هذه الحال وانقلاب العقل بسبب أنهم قالوا إن الحياة لا تقوم إلا على الربا لأن البيع مثل الربا. ولاحظنا أنهم يقولون: إن البيع مثل الربا فيجعلون الأصل كأنه الربا وأن البيع يشبهه فلا داع لتحريم الربا.

فردّ عليهم رب العالمين وبيّن ما أحله وما حرّمه، قال: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) هذا هو الدين، تحليل البيع وتحريم الربا، والربا محرم حتى في الشرائع السابقة لأنه ظلم للناس، وكل ظلم للناس محرم في كل شرع؛ لأن الشرائع لا

تحل الظلم ولا تقره، الشرائع كلها لا تخرج عن الفطرة والظلم تبغضه الفطرة وتستقبحه.

على كل حال، أكل الربا من عادة اليهود في الكسب، كما قال -عزّ وجلّ- في سورة النساء ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾[4] هنا نلحظ تعظيم حقوق الآدميين؛ لأن الدنيا لا تستقيم إلا بمعرفة حقوق الآدميين، والوقوف عند هذه الحدود التي حدّها الله؛ لذلك شدد الله في أمرها وبالوعيد عليها حتى لا تفسد الأرض بفساد أفعالهم، وجعل الله أعظم حقوقه وهو التوحيد، مقترنا بحقوق الآدميين. بمعنى أنه -سبحانه وتعالى- قضى ألا نشرك به شيئا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين، إذًا قرن التوحيد بحقوق الآدميين من أجل ألا يحصل ظلم بين الناس. وهنا نفهم أيضًا أنه لا يمكن أن يكون هناك عدل وعدم ظلم إلا إذا كان الإنسان مؤمنًا، موحدًا، معتقدًا أنه سيلقى ربه. مثلا حين نرى شروط التوبة نجد أنها مع الآدميين تزداد شرطًا وهو: رد المظلمة، قال رسول الله: «مَنْ كَانتْ عِنْدَه مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيتَحَلَّلْه مِنْه الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمتِهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سيِّئَاتِ صاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[5] هذا الحديث التأمل فيه والتفكير يبيّن لنا خطورة مظالم العباد، وفي نفس الوقت

---

[4] () النساء: 161.

[5] () صححه شعيب الأرناؤوط.

يبيّن لنا أن المجتمع لا يصلح إلا بإقامة حق الله وبإقامة حقوق العباد.

فهمنا أن الإنسان إذا عرف رب العالمين اطمأن إلى الأرزاق وعرف أن ربنا الرزاق، وعرف أن الإنسان إذا سار على منهج الرحمن بارك له -سبحانه وتعالى- كما سيأتينا كيف أنه يربي الصدقات -سبحانه وتعالى-. وهنا نؤكد أن فساد الآراء عند أهل الباطل مثل الداء الذي يمكن أن ينتشر على الخلق جميعًا، فساد الآراء مثل الوباء، فتجد الناس في البداية بينهم وبين الربا حد عظيم وبعد كبير، ثم بعد ذلك مع فساد الآراء بالأهواء تنتشر هذه الأمور، ويجد الإنسان نفسه لا يتحرز في المعاملات المالية لأنه غالبًا يكون هناك فروق دقيقة بين البيع والربا، لكن مع فساد الآراء بالأهواء تجد أن الناس يقيسون قياسًا فاسدًا فيقولون: البيع مثل الربا. وهنا نؤكد أن هذا القياس الفاسد هو أول ضلال في الخلق، عمومًا حين يقيس الإنسان الأمور بعقله ويجعل الأمور على وفق تفكيره، يضع هو القياس ويقول: هذا مثل هذا وينتهي الأمر عنده بأن يدخل في المحرم. هذا هو أول ضلال في الخلق؛ لأن إبليس لماذا امتنع عن السجود لآدم؟ قال: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)[6] امتنع من السجود لأنه يرى نفسه أنه خير من آدم لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين، ويرى أن النار خير من الطين، قاس هذا القياس ومن ثم امتنع عن السجود؛ ولذلك

---

[6]() الأعراف: 12.

يقال عن الحسن البصري أنه كان حين يتلو قوله تعالى: (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) يقول:

"قاس إبليس وهو أول من قاس" وهذا قياس فاسد، وكثيرًا ما يتبع الناس الأهواء نتيجة القياس الفاسد، ويصلون إلى غايات فاسدة. لذلك الخلق إذا وجدوا أنفسهم لا يستسلمون لشرع الله ويستسلمون للقياسات الفاسدة التي يقيسونها بعقولهم فليعلموا أنهم يسيرون على سير إبليس ومَن مثل إبليس.

الشاهد هنا: أن الله بيّن لنا أنه أحلّ البيع وحرّم الربا، فالأصل في العقود والمعاملات الحِلّ ما لم يأتِ دليل على التحريم. كل بيع حلال وأول ما تدخل شبهة الربا يكون الإنسان في حالة من الحذر.

في الآية نفسها أتت الدعوة إلى التوبة، فقال لنا رب العالمين: (فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ) من أخذ الربا ونما ماله منه قبل نزول آية تحريم الربا فله ما سلف مما قبضه وانتهى (فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) أو نقول: لم يكن يعرف أن في هذا شبهة ربا، أو نقول: كان جاهلًا، أو نقول: كان عاصيًا، ثم عرف، أتته موعظة، ربنا أرسل له أحدًا يعظه وهذا رحمة من الله للموعوظ وأيضًا إقامة للحجة عليه، فله ما سلف من المعاملات التي عملها قبل أن تأتيه الموعظة، وهذا دليل على أنه لو لم يستجب للموعظة أخذ بالأول والآخر، لكن لما استجاب غفر له الأول.

(وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) في مستقبل حاله، بمعنى أن الذي تاب وترك هذا الطريق، رب العالمين يعامله بفضله ويغفر له ما مضى، لكن المهم أن يكون تائبًا حقيقة، تاركًا لهذا الأمر، عازمًا على ألا يعود، أما أنه يراوغ فالمراوغة أثرها على الإنسان أثر خطير، فإن هذه المراوغة تدل على النفاق وتدل على أن الإنسان ليس قاصدًا رضا رب العالمين إنما يريد بهذا الوصول إلى أغراض معينة، فربما تاب زمنًا لأسباب معينة ثم عاد لذلك.

نأتي عند من لم يستقم على هذه التوبة وعاد إلى الذنب مرة أخرى، (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وهذا تهديد عظيم يدل على أن هذا الإنسان لما عاد بعد علمه بحرمة الربا فعاند وكابر؛ فهو يستحق الخلود في النار، وهنا الخلود لم يأتِ معه أبدًا، لو أتى معه أبدًا يصبح تأبيدًا، لكن المقصود هنا أنه بمقدار علمه وعناده تكون العقوبة، والخلود: طول المكث؛ لذلك يصح أن تسمي (خالدًا) لأنه لا يقصد بتخليده أنه بلا نهاية إنما يطول عمره.

المقصد: (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يطول مكثهم في النار -والعياذ بالله- والسبب في ذلك متبيّن: العناد وما يحصل من أمور بسبب الربا. في الربا أمور خطيرة تحصل على نفس الذي يرابي وعلى المجتمع، ومن تلك الأمور، لكي تفرق بين البيع والربا:

● أن المتعاطي للربا سيترك العمل وتبقى مهنته أن يزيد على الناس. تصور أن هذا يستعمل الربا ويترك التكسب، وهذا يستعمل الربا ويترك التكسب وهذا أيضًا يستعمل الربا ويترك التكسب فلن تنتظم لا تجارة، ولا صناعة ولا عمارة ولا أي شيء، سيكون عمله فقط أن يُقرض من الأموال التي جمعها أول الأمر، بعد أن عمل زمنًا، يبدأ يقرض الناس ويكسب من وراء إقراضهم، وهو يترك العمل، وهذا لا تنتظم معه أحوال الناس أبدًا!

● الأمر الثاني: أن هذا سيسبب انقطاع المعروف بين الناس فلا تجد أحدًا يقرض أحدًا، تريد أن تقترض اقترض من الأماكن التي ترابي، ثم إن هذا المرابي غالبًا يكون غنيًا والمقترض يكون فقيرًا، فيزداد الفقير فقرًا ويزداد الغني غنى، وهذا كله ضد ما أمرت الشريعة به من تداول المال لتحصل بين الناس حالة من التوازن، لكن الناس من طمعهم في الدنيا أصبحوا لا يفكرون بالأمر الشرعي وإنما يجعلون البيع مثل الربا، والبيع ليس مثل الربا أبدًا.

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)

بيّن -عزّ وجلّ- كيف يكون جزاء المرابين وجزاء المتصدقين، وهنا يظهر لنا الإيمان بالله المدبر للأمور، ويظهر لنا الإيمان باليوم الآخر، والثقة واليقين بأن رب

العالمين جعل الدنيا دار ممر وأن الآخرة هي دار المستقر. فالله يمحق الربا، يذهب بركته وأثره على الإنسان، والبركة التي ذكرها الله في القرآن، ليست أرقامًا، ليس النماء للأرقام، وإنما نماء أثر المال، يمحق الله هذا الأمر عند المرابين ويربي هذا الأمر عند أصحاب الصدقات، يمحق البركة ويربي الصدقات، ينميها وينزل عليها البركة، فالبركة نماء أثر المال بالطمأنينة والكفاية والقناعة وتيسير الحاجات ولو بالقليل؛ لأن المال لا يطلب لذاته وإنما يسعى به لطلب السعادة والراحة، وكثير من أهل المال الحرام يغترون بالأرقام ونمائها فتزيدهم همًّا وضيقًا وعذابًا للنفس وتحصل لهم من الخصومات وقطيعة الأرحام بسبب المال ما الله به عليم!

ثم أن الله -عزّ وجلّ- يبتليه في نفسه فتجد عنده أرقامًا هائلة ومع ذلك قلبه متعلق بتتبع القليل من المال فيشقى! حتى أن الفقير الراضي، الذي رضي بما قسم الله، من المؤكد أنه أسعد منه -لكن ليس كل فقير؛ لأن هناك من الفقراء من هم طامعون أصلًا في الدنيا!- ومن أعظم أنواع العذاب -الله يعيذنا- العذاب بالنعمة، يهبها الله الإنسان ويتمسك بها الإنسان ويبحث عنها فيعذبه الله بها، فالمال ليس أذي يريد الخلاص منه برغبته لأنه لن يحب أن يترك المال، ويعجز عن تركه، بخلاف العذاب بالنكبة والمصيبة والمرض، فالإنسان يطلب منهم الشفاء والعافية، ويتمنى منهم مخرجًا، فلو فتح له باب إلى العافية والشفاء فرح وخرج، لكن الغني المعذب بماله لو فتح

له بابًا إلى الفقر لن يخرج! فيعذبه الله بماله وهو ممسك به ولا يتركه، فهل أكثر من هذا عذاب؟ نعوذ بالله.

هنا نفهم أن الجزاء من جنس العمل؛ يمحق بركة المال، تزال، ويعذب الإنسان بهذا المال في مقابل أن الله يربي أثر الصدقات في الدنيا وفي الآخرة؛ لذا لا بد أن نكون مؤمنين أن الدنيا دار ممر، وفي الحديث «من تصدَّق بصدقةٍ من كسب طَيِّبٍ -ولا يقبلُ اللهُ إلَّا طَيِّبًا- كان إنَّما يضعُها في كفِّ الرَّحمنِ يُربِّيها كما يُربِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فصيلَه، حتى تكونَ مثلَ الجبلِ»[7]. إذًا عرفنا أن المحق والعقاب على أهل الربا والزيادة؛ لأنه ربا، (الربا) و(يربي) من نفس المادة وتعني: الزيادة. هم أخذوها من غير وجه حق لذلك محقها الله، في مقابل أهل الصدقات تقربوا إلى الله فيزيد الله صدقاتهم. فيجتمع لأهل الربا المحق والعقاب ويجتمع لأهل البركات الزيادة والبركة والأجور العظيمة؛ لذلك ختمت الآية بالإخبار عن أن الله: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) تصور عندما يعرض الإنسان نفسه لهذا الأمر!

ما علاقة الكفار هنا؟ المرابي كفر بنعمة الله، المرابي بدلًا من أن يجعل المال الذي هو ابتلاء للناس في الدنيا، سببًا للقرب من الله ووصلًا للأرحام وقيامًا بالحقوق؛ لأنها حقوق؛ إعطاء الناس حقوقهم، حق وليس تفضلًا منك، فإذا لم يؤدِّ هذه

---

[7]() أخرجه البخاري (1410)، ومسلم (1014).

الحقوق كان كفارًا، إشارة إلى عظيم كفره كونه أقدم على ما حرم الله، هذا أمر عظيم فيكون بذلك كفارًا بدلًا من أن يكون محسنًا، أثيمًا فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) بل يحب من كان محسنًا، صالحًا، من قام بما يجب عليه، وأعطى من عطية الله، لكن الكفار الأثيم هذا من طمعه في الدنيا وجريه ورائها لا يفكر إلا في الشهوات، انتفى عن هذا الحب فلا تسل عن شقاء هؤلاء. لذلك أمام الكفار الأثيم أخبرنا الله عن المحسنين الذين تقربوا إليه فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

أمر عظيم أن تعرف أن أولئك القوم الكفّارين الأثيمين سلبوا محبة الله، وهنا أشار رب العالمين إلى من يحبهم: المؤمنين المصّدقين الذين أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، هؤلاء لهم أجرهم عند ربهم (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

يأتي الآن تأكيد وبيان لتحريم الربا، فقال الله -عزّ وجلّ- :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

لما ذكر الله -عزّ وجلّ- حال آكلي الربا وبيّن الإثم العظيم وخوّف من حالهم، وبيّن أن هذا لا يصدر من أهل الإيمان، هنا خاطب أهل الإيمان بوضوح ونهاهم عن أكل الربا، فبعد

هذا التشنيع الذي حصل في الآيات السابقة، إذا كان الإنسان مؤمنًا لا يقبل على نفسه أن تكون حاله تلك الحال الفظيعة، بل لا بد أن يطلب لنفسه كمال الحال من ترك كل باب يُدخله إلى الربا؛ ولذلك قال الله -عزّ وجلّ- : (اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) أي شيء فيه شبهة اتركوه وكونوا على حذر. فالأتقياء هم الذين لا يخاطرون بدينهم، بل يكونون في جهة وهذه الذنوب في جهة أخرى.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) نلاحظ أنه قدّم الأمر بالتقوى على الأمر بترك ما بقي من الربا ليكون الإنسان متهيئًا لقبول الأمر بترك ما بقي من الربا؛ لأنه إذا قال لنا: (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) والنفوس لا زالت تشعر أنه لا مانع، وأن هذا الباقي من الربا قليل وأن هذا فيه شبهة بسيطة وأن الأمر ليس واضحًا تمامًا، فيقال لهم: لا، اتقوا الله، كونوا دائما متقين لسخطه فهو لا يحب كل كفار أثيم، لا يشكر نعمة الله. ذروا بمعنى: اتركوا ما بقي من الربا، بمعنى إذا كنت الآن عندك معاملة ربوية وما قبضتها، اتركها مباشرة، ولا تقل: هذه آخر مرة، ثم بيّن -عزّ وجلّ- (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) هذا أيضًا من باب إغرائهم، (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) حقًا، فدعوا ما بقي من الربا لأن الله لا يحب هذا الأمر. فنجد أن هنا تظهر حقائق النفس، فالله -عزّ وجلّ- بيّن لنا هذه الأوصاف كلها لتتهيأ أنفسنا لترك هذه المعاملات الخبيثة؛ لأن سبب الربا: الشحّ البشري وشدّة

الطمع (وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ)[8] والله -عزّ وجلّ- يقول (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)[9] فنزْع شحّ النفوس وطمعها أمر ليس باليسر، وعلاجها بالزكاة والحثّ على الصدقة والإحسان، هذه كلها أمور ترشد الإنسان إلى أن الإنفاق من المال قربى إلى الله وأمر يرفع الإنسان عند الله درجات ويزكي نفسه، ويزيده إيمانًا، فيكون سهل عليه ترك كل ما يغضب الله.

يجب أن نتأكد أن للربا أثرًا في الإيمان، فالإيمان القوي له أثر في ترك المال الحرام، والطمع يضعف الإيمان، بمعنى أن شدة الطمع وقوة الإيمان لا يجتمعان (وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) لأن شدة الطمع توجب أكل الحرام وترك الزكاة والنفقة والصدقة، فشدة الطمع وقوة الإيمان لا يجتمعان.

ولذا تأتي الآية التي تليها فيها تغليظ في أمر الربا وتشديد في أكله:

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ) أي: إن لم تتركوا ما بقي من الربا، هذا تغليظ في أمر الربا وتشديد فيه، يعني عنده عقود أو

---

[8]() النساء: 128.

[9]() الفجر: 19-20.

عنده بعض المال لا زال معلقًا ويقول: هذه فقط. يقال: إن لم تترك ما بقي من الربا فأنت قد أُعلمت أن هناك حربًا ستكون عليك، ومعنى هذا أن الله -عزّ وجلّ- يخاطب المؤمنين المصرين على معاملة الربا، وأيضًا يخاطب الكافرين، لكن السياق إنما هو على المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويؤمنون بلقاء الله ويصرون على الربا، لكن من استحل الربا وقال إنه ليس حرام فهذا يدخل في حكم الكافرين، لكن هناك عصاة، أناس يعصون الله. هؤلاء العصاة الذين يرتكبون الكبائر؛ وهذه الكبيرة خاصة يقال لهم: كونوا على حذر، كونكم تأكلون أموال الناس فقد عرضتم أنفسكم لأمر عظيم لستم في استطاعة له. (فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) حرب من الله وحرب من رسول الله، هذا مثلما جاء في الخبر: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»[10] .

المقصد أن هذا الذي أصر على الدخول في باب الربا كأنه بهذا الفعل يحارب الله -عزّ وجلّ- فليعلم أن الله يحاربه وأيضًا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يحاربه، ومن حاربه الله ورسوله لا يفلح أبدًا وهذا إشارة إلى سوء الخاتمة، والله -عزّ وجلّ- لم يذكر حربه لأحد في الوحي إلا في ثلاثة مواضع: للمشرك وللمرابي ولمن عادى وليه. كما في الحديث «مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ»[11]. هنا إشارة إلى ذنب

---

[10]() ضعّفه الألباني.

[11]() أخرجه البخاري (6502).

عظيم وأن الإنسان حين يصر كأنه أعلن الحرب مع رب العالمين، كم هي عظيمة! من تهاون بأمر ملك الملوك حاربه، في الدنيا من يتهاون بأمر ذي سلطان يحاربه، فكيف بمن تهاون في أمر رب العالمين؟! هل يظن أنه ينجو؟ لا والله لا ينجو. هذا يدل بوضوح على الخطر في مسألة الأموال والطمع فيها وفي مسألة الدخول فيها بدون سؤال وبدون حذر.

ثم قال -عزّ وجلّ- : (وَإِن تُبْتُمْ) من الربا، وتبتم من هذه الأفعال الشنيعة وهي أن تهملوا أمر ربكم وتقولون: هذا مالنا ونحن أحرار نتصرف فيه كيفما نشاء ويكون الإنسان تفكيره رأسمالي والأموال كل شيء عنده.

(وَإِن تُبْتُمْ) عن الربا وعن هذا الفكر وعن الطمع (فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) لا ظلم أبدًا، لا أنتم تظلمون ولا أنتم تظلمون غيركم، لا يؤخذ من مالكم ولا تأخذون من أموال الناس في المقابل، إنما يحصل العدل، فلا تظلمون الغريم بطلب الزيادة على رأس المال ولا تظلمون أن يطلب منكم تنقيص المال. كما في الآية التالية:

(وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

أنتم حقكم أن تأخذوا المال كاملًا، لكن إذا كان هذا الذي أخذ منكم المال واقترض منكم (ذُو عُسْرَةٍ) لا يجد وفاء فكونوا متقربين إلى الله بأن تنظروه وتعطوه فرصة حتى يجد ما

يوفيكم، وإذا رأيتم أن تتصدقوا عليه بالتنازل فهذا سيكون خيرًا لكم عند ربكم، وستجدون من وراء هذا خيرًا في الدنيا وفي الآخرة، وهذا كله يعتمد على الإيمان.

ولذلك قال الله -عزّ وجلّ- : (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) هذه الشفقة التي تحصل في نفوسكم على الذي ابتلاه الله بالعسر، وابتلاكم معه، أن يكون لكم عليه دين، فإذا وجدتم في نفوسكم شفقة وتركتموه وتصدقتم؛ سيكون أمركم إلى خير لو تعلمون أن الأمر كله بيد الله، تصور أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قد حضّ على تأخير الدين على المعسرين، وفي بعض الآثار:

"إن كل يوم تأخير يكون صدقة" وأما إسقاطه فصدقة عظيمة (خَيْرٌ لَّكُمْ) ينكّره رب العالمين، أي: خير عظيم لك (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) لكن نحن ينقصنا العلم عن الله، ينقصنا العلم عن البركة، ينقصنا علاج أنفسنا من أطماع الدنيا.

هذه الآيات العظيمات ختمت بعد ذلك بخبر غاية في الأهمية، وقد ذكر أهل العلم: "إن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن" وهي قوله:

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) فليكن همّنا: التفكير في ذلك اليوم، وليكن شغلنا: ماذا سيكون حالنا عندما نقف عند رب العالمين إذا استوفينا الدين وضيقنا على المدين؟ عندما

نقف بين يدي الله سيستوفي الله حقوقه، وإن سامحناه، فالله أولى بالمسامحة -سبحانه وتعالى. والمديون إذا لم يوفِ حق الدائن مع قدرته على الأداء؛ استوفى الله منه حقه، أما من لا يقدر فيرجى أن يعفو الله عنه ويرضي خصمه بعوض من عنده، ثم قال تعالى:

(ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد من سيئاتهم. هذه الآية فيها من الوعظ ما فيها، أنه فلتحمل هم لقاء الله ولتقدم بين يدي هذا اللقاء ولتكن رغبتك فيما عند الله سببًا لحسن معاملتك مع ما رزقك الله.

من تأمل هذه الآيات وما اشتملت عليه من عقوبة أهل الربا ومستحليه؛ عظّم هذا الجرم وهذا الإثم، كيف وقد ترتب عليه أن يقوموا يوم المحشر مُخبّلين وكيف وقد ترتب عليه أن يخلدوا في النار أزمنة طويلة، كيف وقد أخبر الله -عزّ وجلّ- أن المصرّ على الربا له حرب من الله ورسوله وعليه اللعنة والذم والبغض وتسقط عدالته وتزول أمانته ويُسمّى باسم الفسق والقسوة والغلظة، ويكون ممن ظلم ويكون هذا سبب لزوال الخير والبركة، فما أقبح هذه المعصية! وما أعظم ما يترتب من العقوبات عليها! ولذلك لما عدّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- السبع الموبقات، أي: المهلكات. كان من بينها الربا، قال رسول الله: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ. قالوا: يا

رَسُولَ اللَّهِ، وَما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا...»[12].

فلنكن على حذر، وليكن المال، الذي هو ابتلاء، سببًا ووسيلة للوصول إلى الله وليس لأن يُسلط علينا من الله -نعوذ بالله-.

اللهم ارزقنا مالًا حلالًا، واشرح صدورنا ووسعها للإنفاق في سبيلك، اللهم ارزقنا رزقًا عظيمًا ننفق فيه نفقة من لا يخشى الفقر، اللهم تب على المؤمنين والمؤمنات، خصوصًا من دخل في الربا.

اللهم تب على المؤمنين والمؤمنات، خصوصا من دخل في باب الربا، اللهم أصلح أحوال المؤمنين ووسع عليهم، واجعل في قلوبهم الشفقة، واجعلهم ينفقون الليل والنهار يتقربون إليك يا رب العالمين، واجعلنا منهم، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

[12]() أخرجه البخاري (6857).

الفهرس

اللقاء الثالث 3

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) 5

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) 12

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) 14

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) 14

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) 16

(وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) 18

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 19

الفهرس 21